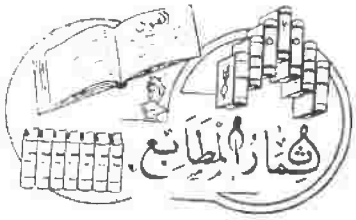

الخيال الشعرى عنـــد العرب

بقلم أبى القاسم الشابى ، ١٤١ صفحة ، ١٣ ½ سم . × ١٨ ¾ سم .
مع مقدمة بقلم زين العابدين السنوسى . مطبعة العرب بتونس

هذا كتاب يحوى مجموعة محاضرات ألقاها الشاعر التونسى المجيد أبو القاسم الشابى على جمهرة من المتأدبين فى تونس يعالج فيها الخيال الشعرى لدى العرب. ونحن لانتكر على الشاعر الفاضل دقة بحثه وأمانة فكره ورجاحة رأيه فى أغلب المواضع مع عذوبة لفظه ، وتحريه الحق والصدق عند كل فكرة ، وتعشيه مع النطق السليم فى كتابته ، والأديب الشابى من شباب العروبة المجددين كما تنم عليه روحه الحية . يسخر من القدامى ولا يحب أن يعترف لهم بفضل كبير على الخيال الشعرىّ ، بل هو يذهب الى أبعد من هذا ، أجل هو يرى أن ليس لهم من الخيال الشعرى نصيب وهو وإن كان قد استدل على ذلك ببعض أشعار للفحول المتقدمين إلا أننا نراه غالى كثيراً فى حكمه . ويقيننا أن الذى دفعه إلى هذه المغالاة إنما هى رغبته فى شحذ القرائح واستنهاض الهمم ، حتى يصل الخيال الشعرى على أيدى شباب العرب إلى درجة سامية لم يحلم بها السابقون فى هذا الميدان . فلا جدال فى أن العرب كانوا على نصيب ممتاز من الخيال الشعرىّ ، خصوصاً بعد تمازجهم بالفرس واليونان فى عهد بنى العبّاس، على نقيض مايذكره المؤلف من انهم لم يتأثروا بهؤلاء ولم يمتزجوا بأولئك لعنجهية وغطرسة فيهم . ونحن نرى فى كثير من شعر العهد العباسىّ خيالا رائعاً لايقل عن خيال فطاحل الشعراء الغربيين الذين يستشهد المؤلف بهم فى غضون محاضراته القيمة . فهذا البحترى يصف الربيع فيبدع الابداع كله فى قوله :

أتاك الربيعُ الطلقُ يختال ضاحكاً ... من الحسن حتى كاد أن يتكلما
وقد نبه النيروزُ فى غسَق الدجى ... أوائل ورد كنّ بالأمس نوّما

يفتقها بردُ الندا فكأنه يبثّ حديثا كان قبل مكتمَا
فمن شجرٍ ردّ الربيع لباسَه عليه كما نشّرتَ وشياً منمنمَا
أحلّ فأبدى للعيون بشاشة وكان قذى للعين إذ كان مُحرمَا
ورقّ نسيمُ الريح حتى حسبته يجيء بأنفاس الإحبة نعّمَا !

وهذا المتنبي يقول فى وصف بطلهِ فى ساحة الوغى :

وقفتَ وما فى الموت شكٌّ لواقفٍ كأنك فى جفن الردى وهو نائمُ
تمرّ بك الابطالُ كلمى هزيمة ووجهُكَ وضاحٌ وثغرك باسمُ
تجاوزتَ مقدار الشجاعة والنهى إلى قول قوم أنت بالغيب عالمُ !
ضممتَ جناحيهم على القلب ضمة تموت الخوافى تحتها والقوادمُ
بضربٍ أتى الهاماتِ ، والنصرُ غائبٌ وصار إلى اللّباتِ والنصرُ قادمُ
حقرتَ الرُّدينيات حتى طرحتها وحتى كأن السيف للرمح شاتمُ !

وشعراء الاندلس كانوا على جانب عظيم من الخيال الشعري ، فهذا ابن حمديس يقول فى وصف بركة يجرى اليها الماء من شاذروان ومن أفواه طيور وزرافات وأسود:

والماء منه سبائك من فضة ذابت على دولاب شاذَروانِ (١)
فكأنما سيف هناك مُشطّبٌ ألقته يوم الروع كفُّ جبانِ
كم شاخصٍ فيه يطيل تعجباً من دوحة نبتت من العقيانِ
عجباً لها تسقى هناك ينائماً ينعت من الثمرات والاغصانِ
خُصّت بطائرة على فنن لها حسنت فافرد حسنها من ثانى
فاذا أتيح لها الكلام تكلمت بخرير ماء دائم الهمَلانِ
وكأن صانعها استبدّ بصنعة فخر الجماد بها على الحيوانِ
وزرافةٍ فى الجو من أنبوبها ماءٌ يريك الجرىَ فى الطيرانِ
وكأنما ترمى السماء ببندق مستنبط من لؤلؤ وجمانِ

(١) رفرف

إلى آخر هذه القصيدة الممتعة من وصف رائع وخيال رائق لايتاح إلا لعبقرية جبّارة . وهذا ابن الرومى يقول فيبدع فى رثاء (بستان) المغنية ، ويمدح (وحيد) فيجيد كذلك الاجادة كلها وغير هؤلاء كثيرون قرأ لهم شاعرنا الناقد فيما نظن .

والذى أراه أن الشابى توّاق إلى الاصلاح نزاع إلى الطفرة بالشعر ، وهذه خلة حسنة ما لم تصحب بالتطرف البعيد فى امتهان الخيال العربى فى الشعر . وما عدا هذا ، فالكتاب جميل ، عذب الأسلوب رشيق العبارة ، وهو من الكتب النادرة التى تبعث على التفاؤل بمستقبل الشعر خاصة والادب بوجه عام .

مختار الوكيل

الرسالة

مجلة الثقافة العـــالية

بحررها

﴿ احمد حسن الزيات والدكتور طه حسين ﴾

وغيرهما من أعضاء لجنة النشر والتأليف تصدر كل اسبوع مرة مؤقتا

الى حضرات الشعراء والنقاد

ازدحمت مواد هـذه المجلة ازدحاما منقطع النظير فى تاريخ المجلات العربية بحيث اضطرتنا الى وقف النشر والتأليف لترجمة عمريات فنزجرالد وليالى ناجى ولغيرها مؤقتا حتى لا يفوتنا تقديم شعراء وأدباء الشباب المجهولين . وكل القصائد والمباحث التى نتلقـاها تعرض على لجنة النشر ، وهى تشير باذاعة ما تختاره منها تباعا وقد تراكمت الواجبات على محرر هذه المجلة بصفة خاصة بحيث لايستطيع الرد شخصيا على ما يتناوله من الرسائل فنرجو قبول عذرنا القهرى